الفصل الخامس

<u>تفرغ دراسي في جامعة هارفارد</u>

5-1 تفرغ دراسي

في خريف عام 1978 غادرت قطر إلى الولايات المتحدة للالتحاق بجامعة هارفارد لمدة عامين كباحث ما بعد الدكتوراه Post-Doctoral Researcher، وذلك بعد نحو أربعة أعوام من بدء عملي في قطاع النفط في قطر من أكتوبر 1974 إلى سبتمبر 1978 وهي الفترة التي غطتها الفصول الأربعة الأولى من هذه المذكرات.

كنت أنوي قضاء شهرين أو ثلاثة شهور في الولايات المتحدة وفترة مثلها في الخليج. فقد كان خروجي من صناعة النفط في قطر بحكم قوة الطرد أكثر من قوة الجذب والتخطيط. فخروجي لم يكن مرتبا ولم يكن مناسبا لسفر أسرتي معي إلى الولايات المتحدة بل كان نتيجة طارئة عندما وصلت جهودي في قطاع النفط في قطر إلى طريق مسدود حتم عليّ أن أختار بين البقاء في الوظيفة من أجل وجاهتها أو أعود لخيار الدراسة والبحث العلمي من جديد مثلما كان خياري عام 1971 عندما تركت التجارة في قطر للالتحاق بالدراسات العليا في بريطانيا.

عندما قررت التفرغ الدراسي لم أكن قد حددت موضوعا محددا ابحثه لمدة عامين في جامعة هارفارد، فقد تركت موضوع البحث والدراسة إلى أن أتبين بعض القضايا الهامة المسكوت عنها في المنطقة لأن هناك الكثير من هذه المسائل التي تستحق البحث والدراسة وتتطلب لفت النظر إلى ضرورة إصلاحها.

سافرت من الدوحة إلى لندن ومكثت بضعة أيام مع الصديق أحمد الخال القائم بأعمال سفارة قطر في لندن آنذاك واكتمل لقاؤنا بانضمام الصديق عبد الله جمعه الكبيسي قادما من دَرَمْ في شمال انجلترا حاملا معه نسخة من مسودة رسالته لنيل الدكتوراه تبشرنا بقرب حصوله عليها والعودة لقطر. وكان اللقاء بالصديقين وتبادل الرأي معهما كما اعتدنا فرصة لتصفية الذهن من شوائب تجربة العمل في قطاع النفط والاستعداد لتجربة جديدة لم يتحدد مسارها بعد.

قضينا وقتا جميلا في لندن نعيد حديث الذكريات ونفكر في الآمال التي يحول الواقع دون تحقيقها. وسافرت بعد ذلك إلى مدينة بوسطن في الولايات المتحدة كي التحق بجامعة هارفارد في ضاحية كيمبريدج التي لم يسبق لي زيارتها أو التعرف شخصيا على أحد يقيم فيها.

******

أقمت في فندق صغير في كيمبريدج وهي ضاحية من ضواحي مدينة بوسطن تنتشر في أرجاءها معاهد العلم ويتجمع فيها الدارسون من الولايات المتحدة الاميركية ومن كافة انحاء العالم. وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد لمقابلة آ. جا. ماير المهتم بتفرغي الدراسي بحكم تخصصه في اقتصاديات النفط والعلاقات الدولية في مجاله ومستشار العديد من شركات النفط العاملة في الشرق الأوسط.

رحب بي البروفسور ماير وعبر عن سروره بالتحاقي بالمركز قبل أن يأخذنني إلى قسم الإدارة لأستكمل الإجراءات. وفي الطريق توقف عند المكتب الملاصق لمكتبه وعرفني على البروفسور توم ستوفر الشخص القريب منه جدا ثم توقف عند المكتب المحاذي وأشار عليّ بأن هذا هو مكتبي لأكون قريبا منه ومن توم ستوفر.

أرشدتني مسؤولة الإدارة في المركز إلى ما يجب عليّ أن أعمله من إجراءات التسجيل والحصول على بطاقة الجامعة وبطاقة نادي هيئة التدريس وكيف استلم الشقة التي حجزتها لسكني وأثثتها عن طريق استئجار الأثاث بدلا من شرائه. كما زودتني بخارطة المدينة ومخطط مباني الجامعة، ودلتني على مواقع الجامعات القريبة منها في كيمبريدج وبوسطن حيث تقع ثلاث من الجامعات العشر الأولى في الولايات المتحدة الأميركية.

وكان نحو ربع مليون طالب جامعي يدرسون في منطقة كيمبريدج وبوسطن آنذاك. كما يدرِّس في جامعاتها ويبحث عشرات الآلاف من الأساتذة والباحثين في أكبر مركز علمي أكاديمي في العالم. ولذلك فإن منطقة كيمبريدج - بوسطن هي مقر أكبر الشركات الاستشارية في الولايات المتحدة أو المقر الرئيسي لها من أجل الاستفادة من العقول العلمية والبحوث المتقدمة في كل جانب من جوانب الحياة العلمية والتكنولوجية.

قضيت يومين أو ثلاثة أرتب أمور التسجيل والانتقال للسكن وفتح حساب بنكي والتعرف قدر المستطاع على المكان وما فيه من كنوز العلم والمعرفة.

وذهبت بعدها إلى مكتبي في مركز دراسات الشرق الأوسط في الطابق الحادي عشر على ما أذكر من برج توجد فيه معظم المراكز الدولية في جامعة هارفارد حيث يجتمع أغلب العاملين في تلك المراكز وقت الغداء من الساعة الثانية عشر إلى الساعة الثانية ظهرا في الطابق السادس لتناول الغداء وحضور ما يفضل كل منهم حضوره من ندوات ومحاضرات وورش عمل يعقد كل يوم منها نحو أربعة لقاءات في فترة الظهيرة التي يتوقف فيها التدريس بالكامل في الجامعة. فيتواصل خلال هذه الفترة الدارسون والمدرسون فيما بينهم ومع المحاضرين الزائرين من الولايات المتحدة

ومن كافة أنحاء العالم، يستمعون لبعض ويتناقشون في جو تسوده نعمة الحرية الأكاديمية مع كل من له حيثية في مجال العلم أو السياسة والمجتمع.

فتحت مكتبي ووضعت فيه ما لدي من كتب ووثائق بسيطة وأدوات للكتابة ثم قمت بزيارة لمدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد الدكتور محسن مهدي الباحث المتميز الرصين في الدراسات العربية واللغات الشرقية وكان أول عربي التقي به هناك. كان مكتبه صومعة مليئة بالمخطوطات والكتب العربية ذات العلاقة بتحقيقه في ذلك الوقت لكتاب 'ألف ليلة وليلة'.

كان الأستاذ محسن مهدي المدير الأكاديمي للمركز منهمكا في البحث العلمي في مجال تخصصه واهتماماته بعيدا عن شئون تسيير المركز التي يتولى ماير لإشراف عليها. وأذكر أن محسن مهدي قال لي إنه يقيم في كيمبريدج طوال السنة الدراسية يبحث ويدرّس ويشرف على طلاب الدراسات العليا وفي الإجازة يحمل معه إلى قرية يختارها في جنوب فرنسا لقضاء الصيف فيها ثلاث حقائب: واحدة لملابسه البسيطة وحقيبتين للمخطوطات التي يعمل على تحقيقها. وهو ينكب على البحث والكتابة منقطعا عن كل ما يشتت تفكيره عن تلك المهمة المقدسة عنده. وقد استفدت من فكرته تلك عندما اتخذت من مدينة أكسفورد وجامعتها العريقة مكانا لتفرغي الدراسي أثناء الصيف منذ أكثر من أربعين عاما.

عدت إلى مكتبي وليس لدي الكثير مما أفعله في انتظار منتصف النهار وخروج العاملين في برج المراكز الدولية للغداء وحضور ما يرغبون من نشاطات تعقد في فترة الظهيرة. وعندما حان وقت الغداء أسرعت للطابق السادس حيث بدأ العاملون ببرج المراكز الدولية يتجمعون بعضهم يشتري غداءه ويلتقي بمن تواعد معه وبعضهم يأخذ صينية غداءه ويدخل إحدى قاعات الندوات وورش العمل ليستمع إلى موضوع يهمه ويشارك الآخرين في مناقشته.

وجدت نفسي وحيدا حائرا مثل الأطرش في الزفة كما يقال لا أعرف أحدا وليس لدي من أتواعد على اللقاء به ولا أعرف موضوعات الندوات وورش العمل المنعقدة في ذلك اليوم لأختار بينها. أكلت وبسرعة السلطة التي اخترتها مثل كثيرين غداء لي وبعد أن انتهيت منها تسللت إلى إحدى الندوات دون أن أعرف موضوعها فوجدت أغلب الموجودين قد أحضروا صواني غدائهم إلى القاعة يتناولونه بهدوء بينما يستمعون للمتحدث حتى انتهى وبدأ النقاش معه وعلى تعقيبات الحضور.

******

عدت بعد الغداء إلى مكتبي أراجع ما جئت به من وثائق وكتب قليلة وأرتب كتاباتي التي لم يتم نشرها بعد من أجل إعدادها للنشر ومن بينها محاضرتي في الموسم الثقافي لوزارة التربية والتعليم في قطر عام 1978 وبحث الاستخدامات البديلة للغاز الطبيعي غير المصاحب في الخليج العربي والورقة التي قدمتها في الكويت بعنوان "النفط وعائداته: خيار بين الاستثمار والاستهلاك".

بعد نحو ساعة قضيتها في المكتب خرجت من المركز متجها للمكتبة الرئيسية بجامعة هارفارد لأسجل أسمي فيها وأطلع على نظام فهرسة الكتب والوثائق بشكل عام وما هو بالعربية منها بشكل خاص.

تتكون المكتبة الرئيسية بجامعة هارفارد من اثني عشر طابقا ستة منها تحت الأرض وستة فوقها. وقد بنيت على حساب سيدة أميركية ثرية مات أبنها الشاب غرقا فقررت أن توقف تذكارا له مكتبة عظيمة في جامعة هارفارد مشترطة على الجامعة أن يكون اجتياز امتحان السباحة لكافة طلاب جامعة هارفارد شرطا إلزاميا للتخرج كي لا يموت الشباب والشابات غرقا بسبب عدم معرفتهم للسباحة كما مات ابنها. وذكرني ذلك الفعل الخير الحريص على شباب أمته بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه المأثور: "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل". وقد لفتت هذه السيدة الأنظار إلى أهمية تعلم السباحة وساهمت في نشر الوعي بها.

ويحسن بي هنا أن أتوقف عند التوجه الإيجابي الحميد للأفراد والمؤسسات - آمنين مطمئنين واثقين - في الدول الغربية الديمقراطية حيث يسود حكم القانون وليس الحكم بالقانون إلى وقف جزء كبير ومنتظم من دخلهم وثرواتهم لتعزيز الجهود العلمية والثقافية الجادة من تمويل الجامعات ومعاهد البحث العلمي ومراكز الدراسات المتقدمة في بلدانهم. يضاف إلى ذلك تمويل المستشفيات والمنشآت الصحية والرياضية والاجتماعية والإنسانية. كما يشمل الدعم تمويل المؤسسات السياسية والثقافية وتشجيع تيارات الرأي العام المستنير دون أن تقف السلطة عقبة في وجه من يرغب منهم في وقف ماله الخاص ودون أن تعترض على أهداف أي من تلك المؤسسات طالما أنها لا تتعارض مع القانون الذي يقف الجميع أمامه متساوين في الدولة الديمقراطية.

وفي مسح أجريته عام 1998 حول حجم التبرعات الخيرية في الولايات المتحدة عندما كنت مديرا للتعاون الفني والتخطيط في ألأمم المتحدة في لجنة غرب اسيا في بيروت, وجدت أنها بلغت حوالي 90 مليار دولار في تلك السنة وحدها فقط أما رأسمال واحتياطي وقفيات مؤسسات العمل الأهلي الخيري الموقوف على نشاطاتها فإنني أقدرها بعشرة

تريليون دولار. لذلك نجد أن الجامعات العشر الأولى في الولايات المتحدة هي جمعيات أهلية وقفية. ونجد أن أفضل المستشفيات والمعاهد والمراكز التي تصنع الفكر وتنشر الثقافة وتعزز الجهود الوطنية وتنوير الرأي العام هي مؤسسات وقفية مستقلة.

وما يدعو للحزن والاستنكار فعلا هو موقف نظم الحكم العربية المطلقة الراهنة من جهود الوقف والواقفين التي لا تتم تحت جناح الحاكم وعائلته خشية أن تكون تلك المؤسسات المستقلة عن إرادة الحاكم المطلق المستبد مركز تجمع لرأي أخر مؤثر ينافس الحاكم في احتكاره للرأي والقرار وتحديده منفردا للقرارات والخيارات العامة. لذلك جفت منابع الوقف الأهلي في اغلب الدول العربية وتعطل العمل غير الحكومي المستقل عن إرادة الحاكم المطلق الشخصية لا لشح في المال ولا لقلة أهل الخير ومن يرغبون من المواطنين في بناء مجتمعاتهم ورقيها من خلال صدقة جارية تعزز دور المجتمع وترتقي بالمواطن وتحفظ لفاعل الخير ذكره الخير المجرد من الغرض وللمجتمع القدوة التي يحتاجها لتماسكه وتطوره.

ويلاحظ المراقب اليوم أن أغلب الحكومات العربية وفي الخليج خاصة تقف عقبة كأداء أمام قيام أي مؤسسة وقفية مستقلة ليست لديها ترتيب تبعية خاصة بالحاكم وذلك بحجب الترخيص عنها دون وجود حق للمتضرر في الذهاب للقضاء أو تعريضها لتعديات الادارة دون سند من القانون يطبق على جميع المؤسسات غير الحكومية دون تمييز بما فيها تلك المؤسسات التي تنشأ وتمول تحت جناح الحاكم وتدعي العمل الأهلي لابسة جبة السلطة ومستغلة نفوذها ومكرسة لهيمنتها على المجتمع.

******

قضيت نحو ساعتين في المكتبة الرئيسية بجامعة هارفارد أطلع فيها على مداخل فهارسها وأتعرف خلالها على أقسام المكتبة والقائمين عليها وبعضهم من العرب الذين لم يترددوا في تقديم المشورة والعون لي. ذهبت بعدها في طريقي للسكن إلى سوبر ماركت أتزود للشقة باحتياجاتها وأشتري مستلزمات الفطور والعشاء الذي سوف أتناوله في الشقة اعتبارا من تلك الليلة خشية المشي في الشوارع ليلا منتقلا عبر جسر المشاة الذي يمتد بين كيمبريدج وبوسطن حيث تقع شقتي والمشهور ببرودته والمعروف بقلة الحركة عليه في الليل.

وفي السوبر ماركت وجدت كل ما أريد وأغراني لحم الضأن الطازج والمشروم والخضار بتحضير طبخة رز محكمة تصبو إليها نفسي في غربتي بعيدا عن الأهل والأصدقاء والمعارف لعل الانشغال بالطبخ يخفف من التفكير المركز الذي يخرجني الانهماك في الطبخ وغسل الأواني من ضغوطه في وحدتي بعد أن أستقر بي المقام.

******

في صباح اليوم التالي خرجت من البيت نحو التاسعة صباحا وذهبت مباشرة إلى مدرسة هارفارد لإدارة الأعمال Harvard Business School الملاصقة لمجمع الشقق الذي أسكن فيه وذلك للاطلاع على المواد الدراسية التي تقدمها المدرسة وحضور بعضها بصفة مستمع.

وجدت مادتين مفيدتين للتعرف على مجالات التفكير في مجال إدارة الأعمال أولهما مادة استراتيجية إدارة الأعمال Business Strategy تدرّس حالات الشركات الناجحة في العالم وكيف كان وراء نجاحها استراتيجية تنطلق من رؤية واضحة تتوفر لها الإمكانيات اللازمة في بيئة سياسية واجتماعية مشجعة. وثانيهما تختص بمتابعة التطورات التكنولوجية واسمها Technology Gate تتناول متابعة الشركات المتنافسة لمجالات البحوث والتطوير الذي تقوم به الشركات المنافسة لها كي لا تفاجئها بسبق تقني تسويقي يضر بمكانتها في السوق أو يحد من تطور القدرات التقنية اللازمة لأداء نشاطها بشكل منافس.

سجلت في المادتين كمستمع بعد أن استأذنت مدرس كل منهما في الحضور. وأخذت أداوم على حضورهما مندهشا بمستوى المعرفة والمنهجية العلمية التي تدار بها الشركات وهما دون شك سر عظمة الولايات المتحدة في مجال إدارة الأعمال التي قال عنها أحد رواد الأعمال في أميركا ما معناه: خذوا مصانعنا ومزارعنا واتركوا لنا علم إدارتنا وسوف نعيد بنا الصناعة والزراعة والتجارة في بضع سنوات.

عدت إلى مكتبي قبل منتصف النهار لأذهب إلى الغداء والاختيار بين ندوات الظهيرة مع سائر العاملين في مجمع مراكز البحوث الدولية. وأذكر أنني حضرت من بين ما حضرت خلال تلك الفترة محاضرة عن الانتشار النووي تتحدث عن تجربة الهند وباكستان. وكذلك حضرت ورشة عمل تقارن الإنتاجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت. كما تمتعت بجلسة موسيقية يعزف فيها على العود أميركي من أصل عربي اسمه إدموند مقيم في مدينة بوسطن وقد تعرفت عليه وانعقدت بيني وبينه رابطة مودة وتعارف سمحت لي بزيارة عرب مسيحيين والمشاركة في احتفالاتهم في بوسطن والتعرف على بعض العرب الأميركيين عن قرب.

وخلال تلك الفترة المبكرة واصلت زياراتي الاستطلاعية وتعرفت على مدرسة كينيدي لشؤون الحكم Kennedy School of Government، وتابعت برنامج المحاضرات العامة فيها. وزرت أيضا إدارة الاقتصاد في جامعة هارفارد وتابعت برنامج المحاضرات العامة فيها أيضا ومنها محاضرة لأستاذ في الاقتصاد من جامعة شيكاغو حول نظرية ترى أن رؤوس الأموال تنتقل بين الدول مهما كانت الحواجز الإدارية والقانونية وفقا لمعدلات الفائدة فيها انتقالا يشبه تسرب الماء في الأواني المستطرقة. وقد تعرض المحاضر لمناقشة استفزازية شرسة من قبل أساتذة ودارسي الاقتصاد في جامعة هارفارد من أجل دحض نظريته تلك. وأجاب الأستاذ القادم من جامعة شيكاغو على الأسئلة المستفزة بصبر ورباطة جأش في محاولة لإثبات تفوق نظريته على ما عرضه اقتصاديو جامعة هارفارد.

كذلك زرت مدرسة هارفارد للقانون وتعرفت على أخ عربي من السودان أظن أن اسمه الكريم إبراهيم الميرغني استعنت به فيما بعد في فهم بعض اتفاقيات المشاركة في قطاع الصناعات النفطية مع الشركات الدولية في قطر. وأدركت مدى الإجحاف فيها بتهريب جزء معتبر من أرباح المشروعات المشتركة نتيجة احتكار الشريك الأجنبي لتقديم الخدمات التقنية والتجارية للمشروع المشترك بأسعار مبالغ فيها بسبب انعدام المنافسة واحتكار تسويق منتجات المشروع المشترك بدل ممارسته للتسويق مباشرة واكتساب خبرة فيه.

بعد أسابيع قليلة استقر بي المكان وألفت أهله وأصبح برنامجي اليومي أن أغادر المنزل في الصباح إما لحضور فصل دراسي في مدرسة هارفارد لإدارة الأعمال أو مشيا عبر الجسر إلى مركز دراسات الشرق الأوسط في رحلة يومية تستغرق ثلاثة أرباع الساعة تمثل لي متعة ورياضة وفرصة للتفكير فيما يشغل البال. وما يشغل البال في الغربة كثير.

اقضي في المكتب بعض الوقت ثم أنزل للطابق السادس في برج المراكز الدولية لتناول الغداء وحضور ما أفضله من المحاضرات والندوات وورش العمل العديدة المفيدة الفريدة ثم أحضر المحاضرات العامة التي أختارها في أرجاء جامعة هارفارد والجامعات القريبة منها وأعود بين المحاضرات إلى المكتب أنجز ما أستطيع إنجازه دون استعجال حيث لم أكن قد التزمت بعد بدراسة آو بحث تفرغي المنتظر.

******

بدأت بمرور الزمن أتعرف على الناس والأماكن وأعقد الصداقات فيما بقي من الفصل الدراسي الذي ينتهي مع عطلة أعياد الميلاد المجيد ورأس السنة الميلادية حيث كنت أنوي العودة لقطر واصطحاب أم خليفة وضحى وخليفة في رحلة للهند في إجازة نصف السنة الدراسية.

تعرفت من خلال الأستاذ محسن مهدي على الأستاذ عبد الحميد صبرا أستاذ كرسي تاريخ العلوم عند العرب في جامعة هارفارد والذي تمول الكرسي المعين عليه حكومة الكويت. كما تعرفت على الشخصية الحميمة الدكتور محمد علون الذي كان قد هاجر من العراق وتزوج واستقرار في أمريكا. وكان يدرس اللغة العربية في هارفارد. وذلك عندما دعانا الأستاذ محسن مهدي على غداء في نادي هيئة التدريس. وقد استمرت لقاءاتنا على الغداء شهريا وانضم إليها الدكتور وليد الخالدي الذي التحق أخيرا بجامعة هارفارد.

وخلال تلك اللقاءات كان من بين الهموم التي تشغلنا حاجة البلاد العربية إلى جامعة أهلية غير هادفة للربح تختص في البحوث والدراسات العليا كي تنهض بالبحث العلمي وإعداد الباحثين وتنمية معرفة عربية بالذات وبالآخر الأمر الذي لا يلقى اهتماما كافيا من قبل الجامعات العربية على كثرتها وتزايد عددها مع الطفرة النفطية ربما بسبب القيود السياسية على حرية البحث العلمي والأكاديمي في أرجاء المنطقة العربية خاصة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

بدأنا نفكر في مشروع أهلي عربي خيري يؤسس هذه الجامعة أو معهد للدراسات المتقدمة في الوطن العربي. وقد كتبت ورقة بهذا الخصوص لمناقشتها في لقاءاتنا الشهرية التي استمرت طوال وقت تفرغي في جامعة هارفارد وأصبح موضوعها محط اهتمامي في ما شاركت فيه من نشاطات على مدى عقود بعد أن تعذر إنشاء هذه الجامعة بسبب شح التمويل في البداية وعدم وجود المكان المناسب الذي يقبل تسجيلها في بلد عربي يوفر لها الحريات الأكاديمية اللازمة عندما توفر لدي جزء من التمويل.

وقد عادت فكرة هذا المعهد أو الجامعة تلح علي مؤخرا بعد ثلاثين عاما عندما توفر لدي جزء من التمويل وبرزت في شكل "مشروع المدرسة العربية للبحوث والدراسات" المنشور على موقعي. وما زال وجود بلد عربي يحتضنها ويوفر لها الحريات الأكاديمية عقبة رئيسية في طريق تأسيسها كمشروع وقفي أكاديمي مستقل.

كانت لقاءاتي بالدكتور وليد الخالدي أكثر من بقية الأساتذة الآخرين لقرب مكتبه من مكتبي. وكنا نتبادل الرأي حول فلسطين وما يحيق بها من أخطار الاستيطان والاستحواذ على الأراضي الفلسطينية غير المستخدمة ومصادر المياه.

وأذكر أنني تعاطفت مع الدكتور وليد ودعوته لإقامة مشروع يكلف نحو 10 ملايين دولار آنذاك من أجل حماية الأراضي ومصادر المياه في الأراضي الفلسطينية المحتلة بتعميرها وزراعتها.

وكم أتمنى اليوم لو أنني اهتممت بقدر أكبر في ذلك الوقت وتعاونت بشكل فعال مع جهود وليد الخالدي في موضوع الاستفادة الفلسطينية من الأراضي غير المطورة في فلسطين. فقد أصبح استمرار ذلك الوضع من الحجج التي تلجا إليها إسرائيل لنزع ملكية الأراضي الفلسطينية المحتلة وتعتبرها مدخلا لإقامة المغتصبات محلها وفي ما يجاورها.

وكان وليد الخالدي أول من أطلع في هارفارد على أول نسخة وصلتني من كتابي باللغة الإنجليزية الذي تناول موضوع رسالتي لنيل الدكتوراه في جامعة دَرَمْ حول تخصيص عائدات النفط في إمارات الخليج العربي وانعكاساتها على التنمية. وقد سعدت بتعليقه على مقدمة الكتاب التي اعتبرت هذه الأطروحة بذرة مستقبلية طيبة للفكر التنموي في الدول النفطية.

ومن خلال وليد الخالدي تعرفت على فيليب خوري الذي كان يحضر للدكتوراه في جامعة هارفارد ويساعد الأستاذ وليد في التدريس. كما تعرفت على سيدة أميركية من مؤيدي القضية الفلسطينية لا يحضرني اسمها الكريم في الوقت الحاضر وكانت أيضا تعد رسالة الدكتوراه ومن المقربين من الدكتور وليد ومن الزميل فيليب خوري.

بدأ الصديق فيليب الذي أصبح فيما بعد كما علمت أستاذا في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا MIT المشهور، يشجعني على حضور قهوة العصر في المركز والتعرف على طلاب الدراسات العليا لا سيما مساء الجمعة حيث يتفق من ليس لديه ارتباط شخصي خلال عطلة نهاية الأسبوع بمن يكون في مثل ظروفه لتناول العشاء آو زيارة مدينة بوسطن وما حولها. وقد تعرفت على طالب سعودي اسمه أحمد وزميل من تونس اسمه عمر وفتاة تونسية من معارفه مقيمة في كيمبريدج وفتاة جزائرية تزور أقارب لها. وكذلك تعرفت عن قرب على الزميلة الفاضلة سناء مخلوف من مصر التي كانت تعد رسالتها لنيل الدكتوراه تحت إشراف محسن مهدي حول نظام الحكم في الإسلام.

تعرفت كذلك على طالبة أميركية أسمها لوري ملروي تحضر رسالة دكتوراه عن السياسة الخارجية للمملكة العربية تحت أشراف الأستاذ سفران ذي الميول الصهيونية واليهودي من أصل مصري. وكان مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط قبل محسن مهدي. وكان زميلنا من المملكة العربية يسميها بنت العم وعندما سألته قال لي إن أمها يهودية. وأذكر أنني سمعت من لوري أول مرة عن الجدل الدائر داخل أميركا حول التدخل في أفغانستان وكانت تردد أنه إذا لم تكن الحكومة الأميركية راغبة في التدخل في أفغانستان فعليها تسليح القبائل للقتال ضد الغزو السوفيتي.

ولا يفوتني أن أذكر أنني تعرفت أيضا على محمد صباح السالم ابن حاكم الكويت الأسبق. وكان محمد الصباح الذي تقلد فيما بعد مناصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية في الكويت حتى تاريخ استقالته مؤخرا، يحضر رسالة الدكتوراه تحت إشراف أي. جا. ماير. وكان يسكن وعائلته الكريمة في نفس مجمع الشقق الذي أسكنه عبر الجسر في بوسطن.

كذلك تعرفت على عبد الله العمر من الكويت وتوطدت صداقتنا عندما التحق بنا لدراسة الدكتوراه أحمد الربعي أبو قتيبة وعائلته الكريمة تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد صبرا. وكان أبو قتيبة قد اختار التفرغ الدراسي بعد أن عانى من الاعتقال في سلطنة عمان إبّان الثورة الشعبية في ظفار وكان يحدثنا عما عاناه وزملاؤه في سجن الجلالي بمسقط والتعذيب النفسي الذي تعرض له على يد ضباط بريطانيين.

******

بعد مدة من وصولي إلى هارفارد أطلعت على إعلان يدعو الأجانب الملتحقين بالجامعة لقضاء عطلة عيد الشكر Thanksgiving مع عائلات أميركية في بلدات قريبة من كيمبريدج. استحسنت الفكرة واغتنمت الفرصة للخروج من كيمبريدج والتعرف على المجتمع الأميركي وحياة عائلة أميركية ترغب في التعرف على بلدان وحياة شعوب أخرى فسجلت أسمي وتطلعت لتلك التجربة الاجتماعية الجديدة.

وأذكر أنني ذهبت مع عدد من الزائرين الأجانب لجامعة هارفارد في حافلة مساء الجمعة إلى بلدة تقع جنوب مدينة بوسطن فاستقبلنا أمام كنيسة البلدة عدد من الأهالي الذين تبرعوا باستضافتنا خلال عطلة نهاية الأسبوع. تعرفت على العائلة المضيفة لي وكانت تتكون من الأب واسمه دان في نحو الخمسين من العمر وزوجته المقاربة له في السن وبنتيهما اللتين ما زالتا في المدرسة المتوسطة. أخذوني معهم مشيا على الأقدام إلى منزلهم الذي يبدو أنه من منازل الطبقة المهنية العاملة مكون من ثلاث غرف نوم وملحقاتها والمشابه لما حوله من منازل البلدة.

تخلت البنت الكبرى مشكورة لي عن غرفتها وذهبت لتنام مع شقيقتها. وبعد أن وضعت حاجياتي البسيطة في الغرفة عدت لصالة المعيشة لأجد العائلة في انتظاري يعدون السفرة ويحضرون العشاء في المطبخ. عرفني الأب على نفسه بأنه مختص في الطباعة ويعمل في مطبعة للكتب والمنشورات وأنه وأسرته اعتادوا على استقبال ضيوف جامعة

هارفارد منذ عدة أعوام وأصبح بعض ضيوفهم أصدقاء يتواصلون معهم وكان أخرهم طالبا من الهند. كما عرفتني زوجته بنفسها بأنها ممرضة كانت تعمل في الجيش الأميركي الذي يمثل مركز ولائها الوطني. وقد أنجبت بناتها في وقت متأخر وهي الآن تعتني بأسرتها بعد أن تقاعدت.

حدثتهم عن قطر وعن العرب وعن اهتماماتي ودراستي وعملي في قطر وأطلعتهم على صور عائلتي وبعض صور عن رحلاتي والبلدان التي زرتها. وحدثوني بدورهم عن أنفسهم وعن بلدتهم واهتمامات كل منهم وشرحوا لي الصور العائلية التي تزين صالة الجلوس ومناسباتها وبعضها التقط في كوخ لهم في ولاية نيوهامبشير يذهبون إليه بين حين وأخر خاصة في الشتاء لصيد السمك من البحيرات التي تتجمد حيث يثقبون فتحة في الجليد ويرمون صنارة من خلالها لصيد السمك.

أثارني حديثهم عن الكوخ وما يحيط به من ثلوج وجمال الغابة التي يوجد بها فوعدني رب الأسرة برحلة إلى هناك لقطع الأشجار وصيد السمك في ديسمبر عندما تتساقط الثلوج وتتجمد البحيرات. وقد أوفى السيد دان بوعده وأخذني أكثر من مرة إلى ذلك الكوخ الرائع في وسط غابة مغطاة بالثلوج على ضفاف بحيرة متجمدة نسير عليها وتمر السيارات وكأنها لم تكن ماء قبل عدة أشهر. وفي كل مرة كنا نتوقف في طريقنا عند سوبر ماركت كبير نتزود منه بالأكل وخاصة لحم الضأن كي أطبخ وأشوي منه ما لذ وطاب حائزا إعجاب مضيفي لكبسة بخلطة البهارات القطرية المكونة من أكثر من عشرين نوعا من البهارات والمتبلة باللومي العماني الأسود الجاف. وفي الصباح نبدأ بعد الفطور بقص الأشجار وتنظيفها حتى يجري الدم في عروقنا وندفأ من الصقيع وعندها نتمشى حول الكوخ وعلى البحيرة المتجمدة.

******

قضيت نحو ثلاثة شهور في كيمبريدج وبوسطن أستطلع المكان وأتعرف على ما فيه من كنوز البحث العلمي وقبل حلول إجازة عيد الميلاد المجيد ورأس السنة الميلادية 1979 بعدة أيام غادرت مطار بوسطن إلى الدوحة عن طريق لندن لقضاء إجازة في الهند مع عائلتي الصغيرة وحضور بعض المؤتمرات والندوات في الخليج في ظل أحداث الثورة الإيرانية وما صاحبها من تغيرات.

2-5 إجازة عائلية إلى الهند

عدت إلى قطر في إجازة مفتوحة مشتاقا لعائلتي الصغيرة أم خليفة وضحى التي أصبحت في الصف الثالث الابتدائي وخليفة الذي لم يدخل الروضة بعد. كنت مشتاقا أيضا للقاء والدي والتمتع بجلسات الذكريات معه فهو يتحدث إلي كصديق ولا يتردد في التطرق لأي ذكريات مهما كانت شخصية ولرؤية شقيقي يوسف وشقيقاتي وأبنائهم. وكنت أتطلع إلى لقاء الأصدقاء والزملاء والاستماع منهم عن أوضاع قطر عامة وأخبار قطاع النفط فيها وأحوال المنطقة بعد قيام الثورة الإيرانية.

كان والدي قد استقر في منزله الجديد الذي انتقل إليه عام 1977 في شمال فريج بن عمران على شارع الجزيرة العربية حيث يتم بناء منزلي بجانبه. كان والدي سعيدا بالمنزل الواسع ولكنه يفتقد فريج أم غويلينه وجيراننا الطيبين ومجالس أم غويلينه العامرة المتقاربة التي يتم التنقل بينها مشيا على الإقدام. كان والدي والأهل فرحين بالمنزل الجديد والمجلس الكبير ولكنه يفتقد الحياة الاجتماعية الحميمة في أم غويلينة وعليه أن يذهب بالسيارة لزيارة من يرغب أو ينتظر بصبر من يزوره من بعيد في المساء غالبا. فقد كانت منازلنا بعيدة عن مساكن فريج بن عمران ويفصلنا شارع الجزيرة العربية عن فريج كليب حيث يسكن الكثير من الأقارب والمعارف في هذين الحيين اللذين تجمع فيهما البوكوارة مع عدد من أهل قطر الأخرين منهم المنانعه والمهاندة النازحين من قرى الشمال أو العائدين من البحرين.

وقد لاحظت شعور والدي بالوحدة وتأثيرها طوال النهار عليه منذ أن يبدأ والدي مبكرا يومه بعد صلاة الفجر حوالي الرابعة صباحا. وذلك لتغير برنامج حركته اليومية التي اعتاد عليها في أم غويلينه وصلاته الاجتماعية الحميمة

مع جيراننا هناك محاولا بصعوبة بناء صلات جديدة واتخاذ رفقاء جدد يلتقي معهم في المسجد وفي المجالس من طلوع الشمس إلى ما بعد صلاة العشاء. فذلك ما اعتاد عليه بعد أن تجاوز الثمانين عاما وليس هناك ما يشغله عنه.

ولعل هذه الملاحظة تشير إلى أهمية استقرار كبار السن خاصة حيث يسكنون وتكون علاقاتهم بالمكان وصلاتهم الاجتماعية التي تتعرض بالضرورة إلى الاضطراب عندما ينتقل كبير السن في أواخر العمر إلى مسكن جديد ومحيط غريب نسبيا بعيدا عن الجيران الذين ارتبطت بهم علاقاته واستقرت صلاته.

وقد تعرض معظم أهل قطر مع الطفرات النفطية المتكررة لتغيير مساكنهم أكثر من مرة خلال العقود الماضية برغبتهم أحيانا ومرغمين أحيانا أخرى بسبب ما يسمى نزع الملكية للمصلحة العامة كما يقال أو ما أطلق عليه الصديق أحمد الخال' سنامي' عندما انتزع منه دون رضاه بيت عائلته الصغيرة الذي صرفوا خمس سنوات في بنائه عندما كان سفيرا في اليابان بقصد الاستقرار بعد طول غربة في العمل الدبلوماسي وذلك بحجة إقامة مبان لا تمت بصلة لمفهوم المصلحة العامة الذي تنزع الملكية الخاصة من أجلها في العادة.

وجدير بالذكر أن قانون نزع الملكية للمصلحة العامة في قطر من بين عدد من القوانين السيادية التي لا يحق للمحاكم القطرية النظر في القضايا المتعلقة بها ومنها قانون الجنسية وقانون الجمعيات أيضا.

ولعل حاجة استمرار كبار السن للإقامة حيث يسكنون هو ما يجعلني اليوم أصر على أن أبقى في منزلي الراهن حيث اعتاد الأهل والأصدقاء والمعارف على زيارتي وارتياد مجلسي هذا على الرغم من تحول الشارع الذي أسكن فيه إلى مبان إدارية بحكم تنظيم عمراني طارئ. وبعضها تحول إلى مبان خدمية بحكم الحظوة والنفوذ بكل ما يصاحبهما من زحمة وضجيج وتغيير معالم الحي السكني الذي أقمت فيه أكثر من ثلث قرن.

******

بعد عدة أيام قضيتها في الدوحة مستمتعا بفصل الشتاء ورحلات البر مع الأهل والأصدقاء ذهبت إلى البحرين لحضور مؤتمر حول الإدارة العامة في الخليج دعتني إليه شركة الوسائل الإدارية التي تقوم بدراسة الإدارة العامة في قطر واقتراح أوجه إصلاحها كما سبقت الإشارة في الفصل الأول من هذا الجزء.

وفي البحرين التقيت بالأصدقاء والمعارف كعادتي. فالصداقات هي أعز كنز منّ الله علي به ولم يكن في حياتي مسار لم يكن لأصدقائي دور في اختياره والوقوف معي لتخطي صعوباته. ومن بين الأصدقاء الذين التقيت بهم علي صالح الصالح زميل الدراسة في القاهرة وعضو المجلس التأسيسي الذي وضع دستور البحرين لعام 1973 كما تولى رئاسة اللجنة المالية في مجلس النواب الذي تم حله عام 1975 عندما عُطّل مع الأسف دستور 1973 في البحرين.

كان علي الصالح يشعر بأن العمل التجاري الذي يزاوله لا يرضي طموحه وأنه بحاجة لتحويل اهتمامه إلى مجال الدراسات العليا. ولكنه كان محتارا أين يذهب وماذا يدرس. وبعد تبادل الأفكار معه وجدنا أن بريطانيا هي المكان المناسب حيث يمكنه الالتحاق بإحدى الجامعات القديمة العريقة التي تتم دراسة الدكتوراه فيها عن طريق البحث كما فعل معظمنا. أما الموضوعات التي يمكن أن يختار منها فهي كثيرة تطرقنا لبعضها وتوقفنا بشكل خاص عند أهمية دراسة أداء المشروعات العامة في دول المنطقة ودورها في التنمية.

وأذكر أن من بين حججي لإقناع علي الصالح بدراسة المشروعات العامة أن مستقبل المنطقة الاقتصادي يتوقف على كفاءة أداء المشروعات العامة ونجاحها في القيام بدور رئيسي في التنمية الاقتصادية. فالمشروعات العامة في المنطقة تشمل أكبر المشروعات الصناعية وشركات النفط الوطنية وأجهزة الاستثمار العامة مثل صناديق الأجيال القادمة واستثمارات الاحتياطي العام للدول فضلا عن شركات الاستثمار والبنوك وشركات الطيران والنقل البحري والتأمين وغيرها ومن جملتها مشروعات مشتركة مع القطاع الخاص وبين الدول والمنظمات العربية. وهذه المشروعات هي التي يستثمر فيها ومن خلالها ما تبقى من عائدات النفط التي تم تبديد معظمها. وإذا لم تحقق المشروعات العامة كفاءة الأداء وتقم بدورها في قيادة التنمية الاقتصادية فإن النفط سوف ينضب دون أن يتم بناء قاعدة اقتصادية بديلة للأنشطة القائمة عليه ونتيجة لتدفق عائداته.

استمع الصديق علي الصالح لي وتابع حججي وحماسي صامتا في اغلب الأحيان كعادته يفكر في تبعات التفرغ للدراسات العليا مترددا بين الجذب الذي يشعر به إليها وبين ما عليه أن يتخلى عنه إن تفرغ للدراسات العليا وهو التاجر الناجح وعضو مجلس إدارة غرفة التجارة والصناعة في البحرين.

******

بعد عودتي من البحرين بأيام سافرت مع عائلتي الصغيرة إلى الهند في إجازة منتصف العام الدراسي. بدأنا رحلتنا بزيارة دلهي الجديدة حيث كان في استقبالنا سفير قطر في الهند آنذاك الصديق حسن النعمة الذي شجعني على زيارة الهند وقام مشكورا بحجز فندق جميل لنا في دلهي التي قضينا فيها عدة أيام زرنا خلالها دلهي القديمة وقلعتها

الشهيرة وبقية الآثار الإسلامية المغولية في محيطها. كما زرنا أسواق دلهي الجديدة ومعرض الحرف اليدوية وبدأنا بشراء الهدايا الشخصية للأهل وشحن التحف الخشبية والسجاد لمنزلنا الجديد قيد الإنشاء في فريج بن عمران في الدوحة بجانب بيت الوالد وشقيقي يوسف وشقيقتي أم محمد الذين انتقلوا إلى هناك قبلنا منذ نحو عامين.

بعد عدة أيام في دلهي بدأنا رحلة بالسيارة بصحبة الصديق حسن إلى مدينة أغرا Agra مقر تاج محل لزيارته وزيارة القلاع والآثار المغولية الإسلامية هناك.

وأذكر أننا لاحظنا في طريقنا تجمعا بشريا وسوقا عامرة قريبة من الطريق فقررنا الذهاب للسوق لعلنا نجد ما يستهوينا بين بضائع الهند العجيبة. وكانت المفاجأة الصادمة لتصورنا أننا وجدنا السوق كله والأعداد الكبيرة التي ترتاده قد جاءت لبيع وشراء روث البقر لاتخاذه وقودا لما يتميز به من غنى بغاز الميثان الذي يستمر الروث الجاف بوجوده مشتعلا لساعات طويلة بل أياما وليالي بفضل مخزون الغاز فيه. ولا يوجد في ذلك السوق الغريب بضاعة أخرى غير روث البقر الجاف وبائعيه ومشتريه فعدنا إلى الطريق مسرعين نجد السير إلى مدينة أجرا نضحك على خيبة أملنا.

قضينا ثلاث ليال في بلدة أغرا زرنا خلالها تاج محل أكثر من مرة وقمنا بزيارة قلاع مغولية وآثار إسلامية في المنطقة القريبة. وقد لاحظت من بناء تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع لما فيه من فنون العمارة والنقش والتطريز بالحجارة الكريمة النادرة في ذكرى زوجة عزيزة غالية. وشهدت جانبا من حضارة إنسانية غنية بفنون المغول المسلمين عندما حكموا الهند بعد أن اعتنقوا الإسلام وانتموا للحضارة العربية الإسلامية بعد أن كانوا محاربين غلاظا دمروا بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية واستباحوا الأرض والحضارة في غزواتهم الهمجية للمشرق العربي.

كانت إقامتنا في أغرا في فندق هندي جميل من اختيار صاحب الذوق الرفيع الشاعر الصديق حسن النعمة. وكانت غرفه جميلة تحاكي تاج محل وصالاته تتصاعد منها رائحة البخور. وفي مطعمه ذقنا الأكل الهندي على أصوله ومنها ألذ برياني يسمونه Magol Baryani يطبخ على لحم طلي (خروف صغير لا يتجاوز عمره أربعة شهور) بعظمه ولحمه وقليل من شحمه. وقد ظل طعم ونكهة وبهارات ذلك البرياني الملكي معيار البرياني الجيد عندي حتى اليوم.

عدنا إلى دلهي كما ذهبنا بالسيارة مرورا بولاية مهاترا برادش عبر صحراء تذكرنا بصحراء بلاد الشام والعراق وجنوب المغرب متمتعين برحلة خيالية بفضل استضافتنا من قبل الصديق حسن نعمه وخبرته في بلاد الهند وحضارتها التي لا يمل الحديث عنها والإشادة بفضائلها.

وبالنسبة لإعجاب الصديق حسن بحضارة الهند وإكثاره الحديث عنها أذكر أنه في إحدى زيارته لمجلسي في الدوحة تصدر المجلس وأسهب في الحديث عن حضارة الهند وموسيقاها وعظمة رياضة اليوغا ودلالاتها المقدسة عند الهندوس. وعندما توقف حسن عن الحديث تصدى لما قاله حسن وربما بالغ فيه، صديق أخر من الحضور هو الدكتور جبر بن فضل النعيمي مفندا ما قاله حسن مشيدا بما أصاب فيه ومبديا ملاحظات العارف الملم على أخطاء حسن أو مبالغاته بدقة الدارس العارف المتابع العاشق لحضارة الهند. وهنا تفاجأ حسن الذي اعتاد أن يتحدث لنا عن حضارة الهند مبالغا دون أن يخشى معارضته لجهلنا بتفاصيلها. وأذكر أن حسن شكر جبر على ملاحظاته والتفت لنا قائلا بابتسامة: وين طلع لي هذا الرجل؟

بعد عدة أيام في دلهي غادرنا إلى بومباي أو مومباي كما تسمى في الوقت الحاضر للتسوق ومعرفة المزيد عن بلاد الهند. سكنا فندق تاج محل عند بوابة الهند على ساحل البحر. وأخذت أسرتي لزيارة ما سبق أن زرته من معالم بومباي وأسواقها المزدحمة آخذين جانب الحذر من الزحام ومضايقة المتسولين قبل أن نعود إلى الدوحة.

******

عدنا إلى الدوحة نحو منتصف فبراير 1979 وبدأت الاستعداد للعودة إلى الولايات المتحدة ومواصلة تفرغي في جامعة هارفارد. وكان عليّ هذه المرة أن أختار موضوعا أنكب على دراسته طوال ما تبقى من العامين المحددة لتفرغي الدراسي. وكانت دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة في دول الخليج العربي من الموضوعات التي بدأت أفكر فيها إذا لم يقرر دراستها الصديق علي الصالح المتردد. لذلك اتصلت هاتفيا بعلي الصالح وقلت له مازحا: أما زلت في البحرين ولم تسافر إلى بريطانيا بعد. فرد عليّ ضاحكا: ما كل ما يتمنى المرء يدركه! لا أظن بأنني قادر على التفرغ للدارسة بسبب ارتباطاتي الخاصة والعامة.

قضيت ما تبقى من شهر فبراير 1979 في الدوحة بين الأهل والأصدقاء والزملاء في قطاع النفط الذين لم تنقطع صلتي الرسمية بهم منتظرا بداية الربيع كي أعود إلى تفرغي الدراسي في هارفارد في بداية شهر مارس/آذار.

وقبل سفري قمت بزيارة لسمو الأمير في مكتبه لوداعه مثلما زرته للسلام عليه عندما قدمت لقطر. وكانت الثورة الإيرانية قد وصلت آنذاك إلى الحكم وخرج الشاه غير مأسوف عليه يبحث عن ملجأ صعب عليه تأمينه لولا توفير السادات ملاذا له في مصر خلال حقبة معاهدة كامب ديفيد وخروج مصر السادات عن الصف العربي.

وأثناء حديث الأمير عن الأوضاع في المنطقة بعد الثورة الإيرانية والغزو السوفيتي لأفغانستان على ما أذكر أظهر تخوفه من اضطراب أوضاع منطقة الخليج وأبدى أسفه لسقوط شاه إيران قبل أن يتمكن من القيام بالإصلاح. كما أسف لما يواجهه الشاه من صد حلفائه في الغرب لطلبه اللجوء عندهم بالرغم من مرضه وحاجته للعلاج.

ودار حديث طريف بيننا حول مسؤولية الشاه عما حدث في إيران وما حصل للشاه شخصيا. وحسب ما تسعفني به الذاكرة قلت للأمير إن الشاه لم يقم بالإصلاحات اللازمة لبلده بالرغم مما أتاحته الطفرة النفطية وارتفاع أسعار النفط من فرص لتحقيق تنمية حقيقة وعدالة اجتماعية وانفتاح سياسي ينزع فتيل التذمر المزمن في إيران منذ إسقاط ثورة مصدق عام 1952. وقد بالغ الشاه في ممارسة سلطته المطلقة وصرف معظم موارد إيران على مشاريع شكلية تفاخرية وعلى القيام بدور شرطي الخليج والتوسع في الإنفاق على القطاع العسكري دون أن يعالج مشكلة الفقر ويضع حدا للفساد.

فرد عليّ سمو الأمير قائلا إن الشاه قد خدعته حاشيته. فقلت له إن هذا صحيح ولكنه هو الذي أتى بالحاشية.
فأكمل الأمير قائلا: المسؤول يتخذ القرار بناء على ما يعرض عليه وحاشية الشاه هي التي لم تقدم له النصح الأمين. قلت للأمير إن الشاه مسؤول عن حاشيته فقد اختار لحاشيته من ينافق له ويزين له كل ما يرغب القيام به من قمع داخلي ومغامرات خارجية على حساب مصالح شعبه الذي لم تتح له الفرصة المشاركة في اتخاذ القرارات العامة في وطنه. ولو كان الشاه حريصا على سماع النصح الأمين لأبعد المنافقين، وعين حاشية أخرى تصدقه القول. وختم الأمير الحديث بقوله: المثل العربي يقول "عدو عاقل خير من صديق......" وكأنه يقول لي: لا تتحمس كثيرا، انتظر وسوف نرى.

5- 3 اختيار موضوع البحث والدراسة

في مطلع شهر آذار/ مارس عام 1979 عدت إلى تفرغي الدراسي في جامعة هارفارد تلح عليّ ضرورة اختيار موضوع محدد للبحث طوال تلك الفترة التي بقى منها عام ونصف العام. وحتى وقت عودتي تلك لم أكن قد قررت موضوع البحث.

وبعد تفكير ومفاضلة بين الموضوعات التي يمكن أن أختار بينها بدأ اهتمامي يتجه نحو دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة في دول المنطقة وذلك ما كنت قد اقترحته على الصديق على صالح الصالح من البحرين وتردد في التفرغ من أجل دراسته.

وقد زاد من أهمية دراسة دور المشروعات العامة في المنطقة ما بدا لي من شعور متزايد في المنطقة بالحاجة لتغير نمط ما سبق أن أطلقت عليه اسم "التنمية النفطية" وذلك في بحث نشرته لي في مجلة 'المستقبل العربي'. ويشير هذا المصطلح إلى نقد الظاهرة التي شهدتها الطفرة النفطية الأولى وما صاحبها من توسع في الإنفاق الاستهلاكي التفاخري على المستوى العام والخاص، بدل التركيز على الاستثمار. وقد أسفر ذلك النمط عن أزمة مالية حادة عندما جمدت أسعار النفط عند مستوى 13 دولارا للبرميل وتراجعت قبل أن ترتد صاعدة في عام 1979.

وأذكر خلال زيارتي الأخيرة لقطر أن سمو الأمير نفسه قد انتقد الطريقة التي تصرفت بها قطر وبقية دول الخليج العربي حيال الطفرة في عائدات النفط وما صاحبها من توسع في الإنفاق العام على حساب بناء استثمارات عامة وقال لي في بداية الطفرة النفطية الثانية عام 1979 ما معناه: إن قطر سوف تتصرف هذه المرة بالعائدات النفطية بشكل أفضل من الطريقة التي تصرفت بها خلال فترة ارتفاع أسعار النفط منذ عام 1973.

من هنا بدت لي أهمية بحث ودراسة كفاءة أداء المشروعات العامة في دول المنطقة. فقد شعرت أن قضية كفاءة الأداء في تلك المشروعات سوف تصبح في المستقبل بالنسبة للدول المنتجة للنفط في الجزيرة العربية خاصة من القضايا الاستراتيجية التي يتوقف عليها تنويع مصادر الدخل وجهود بناء قاعدة اقتصادية بديلة لصادرات النفط الخام.

******

كانت العقبة الأولى بالنسبة لدراسة المشروعات العامة خلال تفرغي الدراسي عندما فكرت فيها، هي احتمال عدم وجود مختصين وبحوث حديثة عميقة حول المشروعات العامة في جامعة هارفارد ومحيطها الأكاديمي أتفاعل معه.

وكان عليّ أن أسأل عن وجود مختصين وأبحث عن مصادر تساعدني على دراسة موضوع كفاءة الأداء في المشروعات العامة قبل أن أقرر القيام بها.

وكانت دهشتي كبيرة عندما وجدت في مركز الدراسات الدولية الذي يقع في الطابق العاشر من البرج الذي يوجد فيه مكتبي بحوث ومناقشات أكثر من عشرة سمنارات دولية حول المشروعات العامة عقدت سنويا بشكل منتظم وحضور متميز في نفس المبنى الذي يقع مكتبي فيه. وعندما اطلعت على تلك البحوث والمناقشات السنوية وجدتها تغطي دول العالم من الهند إلى كوريا الجنوبية والدول الاشتراكية في شرق أوربا وإسرائيل وبلدان أوربا الغربية حتى كندا والولايات المتحدة.

وعلمت من Richard Million مشرف ومنسق سمينار المشروعات العامة أن هناك جماعة علمية تسمى مجموعة منطقة بوسطن للمشروعات العامة Boston Area Public Enterprises Group . كما يوجد مركز لبحوث المشروعات العامة في جامعة بوسطن القريبة منا. وقد أرشدني البروفسور ميليون مشكورا إلى عدد من الأكاديميين المختصين في إدارة المشروعات العامة ودراسة كفاءة الأداء فيها في منطقة بوسطن – كيمبريدج، يمكنني التواصل معهم.

وهنا زالت العقبة النفسية والعلمية التي وقفت حائلا أمام رغبتي في دراسة المشروعات العامة ودورها في التنمية الاقتصادية من موقعي هنا كباحث في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة، الدولة الرأسمالية المعترضة عقائديا على فكرة قيام القطاع العام بدور رئيسي في الإنتاج الاقتصادي!

******

ومنذ ذلك اليوم استحوذت دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة على اهتمامي، وتأكدت من أنني قادر على بحثها من حيث انتهى الآخرون. فبدأت برنامج قراءة أولية شاملة. كما بدأت أفكر في منهج مناسب للقيام بهذه الدراسة التي صدرت بعنوان "دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية: مدخل إلى دراسة كفاءة أداء المشروعات العامة في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط". ولذلك أضفت إلى برنامجي اليومي ما يتطلبه القيام بالبحث من جهد إضافي إلى جانب استمرار برنامجي اليومي المستقر هناك.

أصبح يوم عملي يبدأ بالحضور للمكتب في الحادية عشر صباحا مشيا على الأقدام وبعد قضاء ساعة في مكتبي أرتب فيها أوراقي وأبرمج حركتي أنزل في الساعة الثانية عشر ظهرا إلى الطابق السادس حيث أتناول غداء هو لي بمثابة فطور متأخر، وأختار بين محاضرات وندوات منتصف النهار. ومن ثم أبدأ جولتي في المكتبات، أطلع على ما يتعلق بالمشروعات العامة من دراسات وأقرأ ما يتيسر لي قراءته وأصور أو استعير ما أرى حاجة لمزيد من الاطلاع عليه.

أعود للمكتب في العادة نحو الساعة السادسة مساء حيث يعم الهدوء في المركز بعد انتهاء الدوام الرسمي متفرغا للقراءة العميقة وتدوين الملاحظات الهامة. وقبل منتصف الليل أعود إلى شقتي بسيارة تكسي خشية المشي في ظلام الليل وعبور جسر المشاة بين كيمبريدج وبوسطن. وبعد تناول عشاء خفيف وفترة راحة وتأمل قبل النوم نحو الساعة الثانية صباحا ينتهي يومي الرتيب من الاثنين إلى الجمعة.

******

حافظت خلال هذه الفترة على علاقاتي ولقاءاتي مع محسن مهدي ووليد الخالدي وعبد الحميد صبرا ومحمد علوان. وخلال غداء كان يجمعنا كل شهر في نادي هيئة التدريس، حرصنا على تبادل الرأي أثناء اللقاء حول إشكاليات التعليم في البلاد العربية وناقشنا مشروع إنشاء جامعة عربية مختصة بالبحوث والدراسات العليا. كذلك نمت علاقاتي مع زملائي الباحثين في مركز دراسات الشرق الأوسط حيث داومت معهم على قهوة بعد الظهر يوم الجمعة بصورة خاصة وما تتيحه من ترتيب فسح وزيارات في نهاية الأسبوع. وسعدت أيضا بصحبة أحمد الربعي أبو قتيبة وعبد الله العمر ومحمد الصباح من الكويت.

كما تعرفت على بعض الدارسين العرب الجدد ومنهم الأخ ناصر بن مبارك العلي من أهل قطر الكرام الذي كان يحضر دورة في منطقة بوسطن منتدبا من وزارة النفط في قطر وكان معه عدد من طلاب المملكة العربية لا أذكر أسماءهم الكريمة من بينهم مدير مكتب أحمد زكي يماني نجم الأوبك آنذاك. وقد فوجئت به يهديني شريط شعر ويقول لي بصوت خافت: استمع إليه. وعندما فعلت وجدته شعرا ثوريا جريئا لمظفر النواب يسقط فيه جميع الحكام العرب ولا يستثني أحدا سوى حاكم رأس الخيمة ربما بسبب عدم تفريطه في جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى ومقاومة الغزو الإيراني لهما ولو بشكل رمزي.

دهشت بأن يهدي لي مثل هذا الشريط موظف عام من المملكة العربية يعمل مديرا لمكتب وزير النفط فأيقنت أن هموم العرب واحدة وآلامهم وآمالهم واحدة تربط بينهم الثقافة برباط متين لا تفك أواصره خلافاتهم السياسية ولا تحجبه مقتضيات السلبية لدى بعض المواطنين العرب اتقاء لشر السلطة. فالوجدان العربي واحد مهما بدأت الخلافات والاختلافات كبيرة على السطح.

وقد تذكرت منذ سنوات حضور هذا الوجدان العربي الواحد عندما التقينا – الصديق العزيز ابو اياد فيصل الخطيب وأنا- نحو عام 2008 بالمهندس المعماري نهاد العبد الله من أهل اللاذقية الكرام وزوجته السيدة صبا وابنتها الطالبة في الجامعة الأميركية في بيروت، وعرفت أن الأخت صبا سمية ابنتي الحبيبة صبا هي أيضا أبنت شخصية كريمة أعزها وأقدرها، هو الأستاذ سليمان العلي المقيم في دمشق. فقد فوجئنا بنهاد العبد الله يلقى علينا أشعار مظفر النواب الناقدة للوضع العربي عن ظهر قلب طول الطريق إلى مصيف صلنفة الذي دعانا إليه للراحة وتناول الغداء في طريق زيارتنا بصحبته لقلاع تاريخية قريبة من هناك كان يقوم بترميمها.

******

ولعل قصيدة مظفر النواب وتسربها كالماء عبر الأواني المستطرقة يعبر عن وجود تواصل وجداني بين العرب كافة تخترق فيه القصيدة المعبرة عن مشكلات الأمة جدران الرقابة داخل وفيما بين الدول العربية وتصل لأصحاب المشاعر الوطنية في كل مكان يقيم فيه العرب. ويحضرني الآن مدى انتشار قصيدة أمل دنقل "لا تصالح" وقصائد نزار قباني بعد نكسة 1967 كأمثلة على تمييز الجمهور العربي بين الغث والسمين من حيث المضمون والرسالة الوطنية والعربية.

وقد تفاعل الفنانون العرب مع قصائد نزار قباني بشكل خاص واهتم كل منهم ببعد من أبعاد شعره وكان من بين هؤلاء الصديق الغالي فقيد قطر والفن العربي الأصيل الموسيقار عبد العزيز ناصر الذي أصدر على حسابه الخاص آنذاك ثلاثة البومات لم تجزها الرقابة ولم تبث على الأثير في قطر بعد, ومنها "قمع استان" عام 2010 و"سفينة الإحزان" عام 2013 وألبوم صدر أخيرا عام 2015 بعنوان "يا سيدي متى تفهم". وأسسها جميعا على أبيات شعر اختارها من شعر نزار قباني وأصدرها ووزعها دون عرضها على الرقابة، بعد أن وضع ألحانا خالدة لها، وتطوع أصدقاؤه ومحبوه من الفنانين بأدائها وتوزيعها كمنشور سري يعبر عن هموم المرحلة الراهنة من زمن الفتنة الدائرة على الساحة العربية، في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرون.

******

بعد نحو شهر من القراءة وأخذ الملاحظات توصلت لتحديد مفهوم المشروعات العامة الذي يعني: "جميع المشروعات الاقتصادية الهادفة للربح التي تملكها الحكومات أو الهيئات العامة بالكامل آو تملك نسبة لا تقل عن 50% من رأسمالها مما يجعل السلطات العامة في مركز اتخاذ القرار الإداري بالنسبة لتلك المشروعات أو التأثير على إدارتها بشكل كبير". وبذلك تشمل المشروعات العامة التي أنوي دراستها في المنطقة أهم وحدات الإنتاج الاقتصادي في المنطقة ويمثل حجم الاستثمار فيها ما يتراوح بين نصف استثمارات المنطقة إلى ما يناهز ثلاثة أرباعها. ومن هنا تأتي أهمية المشروعات العامة التي يتوقف على كفاءة أداءها مستقبل تنويع مصادر الدخل وأعداد كوادر قيادية وتنمية نشاطات اقتصادية بديلة في المدى البعيد لصادرات النفط عندما ينضب آو تتغير تقنيات إنتاجه أو تتطور أساليب إنتاج بدائله.

وربما يكون من المفيد أيضا أن أذكر هنا سبب اختياري للدول المصدرة للبترول في الجزيرة العربية كمنطقة موحدة لدراسة كفاءة أداء المشروعات العامة فيها. فهي الدول العربية التي تتشابه وربما تتطابق فيها نظم الحكم الفردية المطلقة والتأثيرات الخارجية أو الحماية الأجنبية وطريقة اتخاذ القرارات العامة. هذا فضلا عن تماثل مصادر النشاط حيث تحتل صادرات النفط في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط نسبا طاغية في مصادر الدخل ودرجة الاعتماد. يضاف إلى ذلك تشابه السياسات النفطية والاقتصادية والاجتماعية في هذه الدولة مقارنة ببقية الدول العربية الأخرى النفطية وغير النفطية منها.

ولعل تلك الاعتبارات هي التي جعلتني أختار نمط تخصيص عائدات النفط وانعكاساتها على التنمية في إمارات الخليج العربي موضوعا لرسالة الدكتوراه قبل ذلك بعقد من الزمان.

******

وجدير بالذكر أنني توصلت أثناء قراءتي لأدبيات المشروعات العامة والنقاش العالمي الدائر حول دورها وأهميتها كمشروعات اقتصادية منتجة في عملية التنمية الاقتصادية، إلى أن النظر للمشروعات العامة لا تحكمه العقائد وإنما تفرضه الاعتبارات التنموية. ولذلك فإن المشروعات العامة كانت وما زالت هي أداة التنمية الاقتصادية في المراحل الأولى للتنمية في الدول النامية حيث يتمتع القطاع العام بالقدرة على التحرك السريع والقدرة على الريادة، فضلا عن

القدرة على توفير الاستثمارات الكبيرة اللازمة والكوادر البشرية لقيادة عملية التنمية. كما أن المشروعات العامة هي الوسيلة الناجعة عندما تتعرض المشروعات الخاصة الكبرى لأزمات تهدد وجودها مثل ما حصل في الدول الرأسمالية المتطورة مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في فترات الكساد العالمي وأثناء وبعد الحروب العالمية بصرف النظر عن المضمون العقائدي لأنظمة الحكم.

ومن هنا كانت المشروعات العامة هي القائدة للقطاعات الاقتصادية في اليابان عندما بدأت التنمية الاقتصادية فيها في القرن التاسع عشر. وكانت المشروعات العامة أيضا هي مدخل التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية بعد حروبها الطاحنة مع شقيقتها كوريا الشمالية في النصف الثاني من القرن العشرين. وهي اليوم عماد مشروعات التنمية في الصين والهند وغيرها من دول العالم الثالث إلى جانب كونها العمود الفقري للمشروعات الاقتصادية المنتجة في الدول الاشتراكية.

ولذلك وجدت أن دراسة المشروعات العامة والتركيز على أداءها في الدول العربية المنتجة للنفط في الجزيرة العربية خاصة هي المدخل لبدء عملية تنمية مستدامة في هذه الدول قادرة على بناء قاعدة اقتصادية بديلة للاعتماد على صادرات النفط في المدى البعيد.

كان من الواضح أن على حكومات المنطقة استثمار الجزء الأكبر من عائدات النفط في مشروعات عامة اقتصادية منتجة من أجل الاحتفاظ بجزء كبير من عائدات الثروة النفطية في شكل ثروة عامة تستفيد من إمكانياتها التنموية الأجيال المتعاقبة تعويضا لها عن الثروة النفطية التي يتم إنضابها. ومن ناحية أخرى فإن الاحتفاظ بثروة عامة لصالح الأجيال المتعاقبة يتطلب استثمارها في مشروعات اقتصادية منتجة تحافظ على القيمة الشرائية لتلك الاستثمارات كما تدر دخلا وتوفر فرص عمل في المستقبل. ولا يمكن أن يقود جهود الجزء الأكبر من هذه المشروعات الاقتصادية الكبيرة المتقدمة تقنيا في المنطقة سوى قطاع عام اقتصادي كفؤ متفاعل مع القطاع الخاص وشريك معه في كثيرا من الأحيان.

******

ومن خلال قراءتي الأولية لأدبيات المشروعات العامة ومعاناتي في إدارة قطاع النفط في قطر وعلاقاتي الأكاديمية بدأت أفكر في كيفية القيام بدراسة المشروعات العامة والمنهج المناسب للقيام بها. وأول ما تبادر لذهني أن هذه الدراسة يجب أن لا تكون دراسة مكتبية أقوم بها من برج عاجي في جامعة هارفارد معتمدا على خبرتي الذاتية والمراجع المتاحة وإنما يجب أن تكون دراسة ميدانية يشارك في مناقشتها معي المعنيون بكفاءة أداء المشروعات العامة في المنطقة ودورها في التنمية. لذلك قررت أن استفيد من خبرتي وعلاقاتي في إدارة قطاع النفط في قطر في ترتيب مقابلات مع الوزراء المشرفين على المشروعات العامة في المنطقة ورؤساء وأعضاء مجالس إدارة المشروعات العامة والمديرين التنفيذيين فيها. وعلى ضوء تلك المقابلات وما تسفر عنه من آراء سوف أقرر الخطوة التالية.

قمت بتصميم مقابلة هيكلية أطرح فيها بعد حوار أولي مع من سوف أقابله أسئلة نمطية ذات إجابات كمية يصاحبها حوار نوعي مسجل على شريط يسمح لي بالتعرف على ما خلف الإجابات الكمية التي حصلت عليها. ومن ثم أدون الإجابات على المقابلة من أجل تصنيفها فيما بعد لتعبر عن إجابات وانطباعات وملاحظات من أقابلهم في المنطقة حول كفاءة الأداء في المشروعات العامة والعقبات التي تقف أمامها وكيفية تذليلها.

شملت أسئلة المقابلة ثلاثة أقسام. أولها: حول أهداف المشروع العام ويتكون من 39 سؤالا. وثانيها: حول موقع المشروع العام ويتناول موقع المشروع العام وشكله وملكيته ويتكون من 12 سؤالا. وثالثها: بيانات حول المشاركين في الاستقصاء وتتكون من 7 أسئلة. وقد أوردت نتائج تلك المقابلة في كتابي عن "المشروعات العامة" (ص 250-270).

توطدت علاقتي خلال فترة تصميم المقابلة وتحديد أسئلتها بمركز دراسات المشروعات العامة بجامعة بوسطن القريب من سكني وتعرفت على مدير المركز ليوري جونز Leory Jones الذي أبدى اهتماما كبيرا بالدراسة التي أنوي القيام بها ولمست منه استعدادا للمساعدة. كما كان تعرفي على أستاذ أميركي من أصل هندي في المركز اسمه ك. ر. س. ميرثي K.R.S. Murthy خير عون لي في تصميم المقابلة واختبارها. وكان هذا الأستاذ الهندي الذي تعرفت على عائلته الكريمة وانعقدت بيننا صداقة متينة يذكرني بزميلي في إدارة التسويق في المؤسسة العامة القطرية للبترول السيد كوني الذي أسهم كما سبقت الإشارة في دراسة الاستخدامات البديلة للغاز الطبيعي غير المصاحب.

******

ومن محاسن الصدف أنني خلال ترددي على جامعة بوسطن ومروري في أحد الأيام على الكافتيريا فيها صادفت مجموعة من الطلاب ذوي الملامح العربية يتقدمهم شخص وسيم طويل جريء قدرت أنه من الإمارات. فبادرتهم بالقول بصوت عال "هلا ومرحبا " فرد علي عبيد الروم الذي يتقدم المجموعة بلهجة إماراتية معهودة بالتحية والترحيب

وتوقف وصحبه للسلام والتعرف علي. وبعد الضحك على الموقف والغشمرة المعتادة جلسنا في الكافتيريا بالقرب من التلفزيون حيث كانت محطة CNN تذيع بالصدفة مقابلة مع أحمد زكي يماني حول أسعار النفط. وكما ذكرني الأخ عبيد الروم فإن اليماني أعلن في برنامج 60 دقيقة الذي كان يتحدث فيه أن السعودية تبيع برميل النفط بثلاثين دولارا ويعاد بيعه في روتردام في هولندا بستين دولارا معبرا في ذلك عن الجدل الدائر بين مصدري النفط ومستورديه حول السعر العادل للنفط.

بعد انتهاء مقابلة يماني واصلنا جلوسنا في الكافتيريا بعض الوقت قبل أن نتواعد على لقاء قريب. وجرت بيننا بعد لقاء الصدفة لقاءات تعرفت فيها على عدد من الطلاب العرب الذين يدرسون في جامعة بوسطن وما حولها من جامعات. وكان من بينهم المرحوم محمد خلفان بن خرباش الذي أصبح فيما بعد وزيرا للمالية في حكومة اتحاد الإمارات العربية وكذلك أحمد بدر وعلي وعبد الله بن أحمد بن عبد الله المسند الذين كانت تربطهما علاقة نسب مع بن خرباش.

أما عبيد الروم فقد انعقدت بيننا صداقة متينة استمرت لسنوات طويلة أزوره في الإمارات حيث يعمل في وزارة العمل والشئون ألاجتماعية، نتفسح في أرجاء الإمارات من العين إلى خور فكّان وكلبا. ويقصدني في قطر عندما يزور أقرباءه من عائلة السودان الكرام. وقد استمر تواصلنا حتى اليوم وإن تباعدت فترات اللقاء وأصبح تواصلنا بالهاتف.

*****

في نهاية الفصل الدراسي نحو شهر مايو/أيار 1979 زار جامعة هارفارد روبرت مابرو الذي أصبح يومها مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد. وكنت قد تعرفت عليه قبل ذلك من خلال عملي في قطاع النفط وعضويتي في نادي أكسفورد للطاقة الذي أسسه روبرت أو روبير كما يحب أن يدعى خارج إنجلترا حيث يكون أوربيا في أوروبا وبريطانيا في بريطانيا وعربيا مع العرب لأنه ولد ودرس حتى نهاية المرحلة الجامعية في الإسكندرية في جمهورية مصر العربية.

وكان لقاؤنا فرصة أستشيره فيها حول الدراسة التي أنوي القيام بها وأطلعه على مسودة المقابلة التي سأجريها. وقد اقترح عليّ روبرت مابرو أن أمر على أكسفورد في طريق عودتي للخليج وأن ألتقي ببعض الزملاء أثناء حضور الاجتماع القادم لنادي أكسفورد للطاقة وبينهم عدد كبير من المسؤولين عن قطاع النفط في الخليج. واقترح علي أن أقضي جزءا من إجازة الصيف في أكسفورد بعد أن أكون قد أجريت المقابلات في المنطقة للاطلاع على بعض المراجع والاحتكاك بعدد من المهتمين بالنفط والتنمية هناك.

وبالفعل غادرت هارفارد في شهر مايو/أيار بعد نحو ثلاثة شهور قضيتها هناك أحضر لدراسة المشروعات العامة، مارا بأكسفورد حيث حضرت اجتماع نادي أكسفورد للطاقة. وهناك التقيت بعدد من أبناء المنطقة بين الحضور وتواعدت على لقاء بعضهم في المنطقة خلال جولة سوف أقوم بها قبل إجازة الصيف. ومن بين من التقيت بهم سليمان جاسر الحربش زميلي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة عام 1963 الذي تعرفت منه على عدد من الأسماء التي يمكن أن أقابلها في الرياض. كما وعدني بزيارة للأستاذ حمد الجاسر المؤرخ والجغرافي الشهير في الجزيرة العربية والد زوجته الكريمة السيدة مي حمد الجاسر.

وأثناء زيارتي هذه لأكسفورد توطدت علاقتي بروبرت مابرو وتعرفت على زوجته السيدة جودي مابرو الثائرة الانجليزية اليسارية المؤيدة حتى الآن للقضية الفلسطينية عندما اصطحبني روبرت معه لتناول الغداء دون ترتيب مسبق في منزله وفاجأ زوجته الكريمة بوجود ضيف لم تستعد لضيافته فاكتفت بتقديم صحن من الباستا سريع التحضير وبعض الفاكهة بطريقة بسيطة تشعرك بأنك صديق لا حاجة للتكلف معه. ومنذ ذلك اليوم حتى وقتنا الحاضر عرفت جودي وأعجبت بشخصيتها الإنسانية الرزينة المحترمة.

وقبل إن أغادر أكسفورد إلى الدوحة قدمت طلبا لكلية سانت أنتوني في جامعة أكسفورد عن طريق روبرت مابرو مدير مركز دراسات الشرق الأوسط للالتحاق بالكلية بصفة عضو مشارك أول Senior Associate Member خلال فترة صيف 1979 والفصل الدراسي الذي يليه. وفي الوقت نفس حجزت سكنا عائليا لي في أكسفورد اعتبارا من بداية شهر يوليو/تموز لأقضي الصيف مع العائلة في إجازة عمل أحلل خلالها نتائج المقابلة التي أنوي إجراءها مع القائمين على المشروعات العامة في المنطقة ورؤساء وأعضاء مجلس إداراتها. وذلك هو موضوع الفصل السادس من هذه المذكرات.